الموقف العربى ومنطق الشائعات !!

د. سيد نوفل

فى هذه المرحلة من بداية التحول نحو البناء الذاتى ، يفيض محيطنا بالقضايا والأنشطة الحيوية المتكاملة . . لكن السلام الشامل للمنطقة من قواعد البناء الذاتى . فالأمن الجماعى هو دعامة التقدم الاقتصادى والاجتماعى ، وأساس لا معدى عنه للحرية والديموقراطية . .

■ وقد جدت فى هذه الأيام تطورات عربية ودولية فى مسيرة السلام . . كما تواترت الأنباء منذ وقت قريب عن اتصالات بين مصر وكل من السعودية والكويت . . وتلاها نفى مصرى سعودى كويتى ، يؤكد أن هذه شائعات لا تستند إلى الحقيقة والواقع . . والمواقف الفلسطينية والإسرائيلية والعربية ، وحماقات القذافى المتصاعدة وبيان الجماعة الأوروبية الغربية ، والتوقف المصرى تأكيدا لإرادة السلام الشامل العادل والحقوق الوطنية الفلسطينية الكاملة – كل ذلك يدفع إلى التساؤل عن منطق الشائعات ومدى صوابه ونفعه ، ومنطق الحقائق ومدى خطئه وخطره . . وإنى لأرجو أن يكون هذا الموضوع القومى خاتمة أحاديثى العربية فى المرحلة الحالية . .

من أعلام النصف الثانى للقرن التاسع عشر : المؤرخ الناقد الفرنسى : « هيوليت تين » . وقد بدأت شهرته برسالته للدكتوراه عام ١٨٥٣ عن « حكايات لا فونتين » الخرافية المنظومة على نسق « كليلة ودمنة » العربية . . ومن أروع آثار « تين » دراسته الموسوعية لتاريخ الأدب الإنجليزى . .

وهذه الدراسة مقدمة وجهى طه حسين إلى ترجمتها . . وذلك يوم عاد إلى الجامعة عام ١٩٣٥ بعد إبعاد دام أربعة أعوام فى عهد حكومة إسماعيل صدقى الأولى . . وألقيت هذه الترجمة فى محاضرات جامعية . . شهدها طه حسين ، وأثراها بتحليلاته الطريفة وتعليقاته البديعة . . كما قدمت هذه الترجمة إلى قراء صحيفة « السياسة » المصرية فى صيف ذلك العام . .

ومن آراء « تين » فى مقدمته أن التاريخ البشرى فى تطوره ، والضمير الإنسانى فى مسيرته نحو الكمال ، لا تصورهما أنباء الحروب والدول ، ولا ممارسات القادة السياسيين والعسكريين ، ولا سائر الأحداث التى تفيض بها المراجع التاريخية . .

■ ولكن الذى يصورهما حقا ، هو الفنون الشعبية والأساطير والأقاصيص الوطنية والقومية والعالمية . فنتاج الخيال والوهم والخرافة أصدق بيانا من نتاج الحقيقة والواقع والحادث . . والشائعات نتاج لمزيج من الخيال والرغبة . .

ولقد تواردت هذه الخواطر إلى ذهنى ، وأنا جالس لكتابة هذا المقال . . أستعرض الأحداث الأخيرة . وما سبقها من حديث الاتصالات المصرية العربية ، بين الشائعات الصادقة فى دلالتها والحقائق المريرة فى واقعها . .

■ فقد سارت منذ وقت الأنباء ، التى سميت من بعد شائعات ، بأن اتصالات مصرية عالية المستوى قد تمت مع المسئولين السعوديين والكويتيين فى مسقط عاصمة سلطنة عمان وغيرها . .

وقيل إنها استهدفت استعادة الوفاق المصرى العربى وأحرزت تقدما . . وظهرت لها بشائر فى بعض مواقفنا وأحاديثنا وفى بعض مواقف الاشقاء وأحاديثهم . . بل إن صديقا ثقة بحكم عمله السعودى أبلغنى أن السفير السعودى حسين الأشعرى ، القائم برعاية المصالح السعودية فى مصر ، قد التقى بالدكتور اسامة الباز الوكيل الأول للخارجية المصرية ، وتباحثا فى نتائج هذه الاتصالات وما يرجى لها من نجاح . .

ويستوقف النظر فى هذه الشائعات التى تشاكلت وتشابهت مع الأنبا صدق قصدها ومتانة نسجها وتصويرها لما ينبغى أن يكون . .

فاختيار سلطنة عمان مسرحا للاتصالات الواجبة أمر طبيعى . . فالسلطان قابوس حاكم عربى مستنير ، يقف على أول مواقع المواجهة للخطر الأجنبى الزاحف ، ويخوض مع العملاء الإرهابيين فى الجنوب صراعا متصلا . . وعليه مسئولية وطنية ترتبط بالمسئولية القومية وبالمصالح العربية المشتركة . . وله علاقات ممتازة بمصر ، وعلاقات طيبة مع السعودية والكويت وكثرة البلاد العربية . .

وعلى السلطان قابوس والرئيس سياد برى ، وعلى الملك الحسن الثانى والرئيس الحبيب بورقيبة ، وعلى كل ملك ورئيس عربى مسئولية خاصة فى هذا المجال . . وعلى كل مسئول ومواطن عربى واجب مشترك لا يمكن الفكاك منه . .

وقالت الأنباء أو الشائعات إن الرئيس السادات زار السعودية . .

وتلك فضيلة معروفة للسادات بمبادراته وإيجابياته . والأخ القوى الصادق هو الذى يخطو الخطوة الأولى نحو أخيه . . بل نحو عدوه رعاية للمصالح الوطنية . .

وكان نيكسون وكيسنجر قويين حين تقدما فى الخطوات الأولى نحو الصين . . فما بالك بالأشقاء العرب المرتبطين تاريخا وحاضرا ومصيرا ؟ !

وقالت الشائعات أو الأنباء إنه كان للمهندس سيد مرعى دور فيها . . وذلك منطق فالرجل سياسى محنك له الاحترام المصرى والعربى والدولى . .

■ وقبل ذلك كله فإن المواقف العربية السلبية الحالية هى أشبه بالجمود فى المواقف التى سقطت دواعيها ، وانتهت عملا ، ولم يعد من مبرر لاستمرارها . بل إن الخطر كل الخطر فى تعميق أسباب البغضاء والقطيعة بين الأشقاء الذين لا يستطيع أحدهم الانعزال أو الفكاك من شقيقه . . وهذا التعميق قد يؤدى إلى المواجهة التى لا تتفق ومصالح قضايانا القومية المشتركة ، وواجب التصدى للمخاطر الأجنبية المتصاعدة ، ولمغامرات القذافى الشائنة المدمرة . .

وكذلك أكدت التطورات الأخيرة أن القوة تأتى من الداخل العربى وليس من الخارج الأجنبى . . ولقد اتصلت الزيارات الأوروبية الغربية لبلاد الخليج العربية وقتا طويلا . . ويشر المبشرون بدور أوروبى غربى فعال يعيد الحقوق الوطنية الفلسطينية والقدس العربية وتحرر الجولان السورية . .

أندرو يداسكى . . أكثر صراحة من سيروس فانس

السلطان قابوس .. حاكم عربى مستنير ، عليه مسئولية وطنية كبيرة

سيد مرعى : سياسى محنك وله احترامه الدولى .. قال الشائعات إن له دورا فى الاضلاع

ودارت حول زيارة الرئيس الفرنسى ديستان للخليج . وزيارات لورد كارنجتون ومستر هيرد وغيرهما الأقوال وعلقت الآمال . .

واجتمعت قمة الجماعة الأوروبية الغربية ، فى بداية الأسبوع الماضى بعروس البحر الأبيض ، حلم الليالى : البندقية . . وتبددت الأحلام والأوهام . . وظهر أن اتفاقات كامب ديفيد هى الانجاز الكبير القائم ، وأن الدور المصرى الأمريكى هو الدور الحق الفعال ، وأن الانضمام إلى مسيرة السلام المتقدمة أمر محتوم لكل عربى صادق يريد أن يخدم نفسه ووطنه وأمته . .

لقد انطوت المبادىء التى اعلنتها أوروبا الغربية على مبادىء السلام المصرى العربى التى قطعت أبعد مراحل التنفيذ . .

وشعر الرئيس السورى حافظ الأسد بالاحباط الشديد . . وأعلن فى صراحة مشكورة أن هذه المبادىء ترديد لمبادىء كامب ديفيد . . وبما أنها عقدت سوفييتية أسدية مشتركة ، فلا يمكن أن يرضى البعث وسائر الرافضين عن هذه المبادىء . .

وساءت إسرائيل هذه المبادىء لأنها تؤيد السياسة المصرية المصممة على إقامة الدولة الفلسطينية والاستقلال الذاتى الفلسطينى مقدمة لهذه الإقامة . .

كما اعترفت بأنها تؤيد كذلك السياسة الأمريكية المتعاطفة مع السياسة المصرية . . والتقى فى جملة هذا التصور الحكوميون والمعارضون . .

ومستر إدموند ماسكى يزداد صراحة عن مستر فانس فى مقاومة التعنت الإسرائيلى ، وفى إدانة سياسة الاستيطان والبطش الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة . .

ويعلق القادة العرب على المبادىء الأوروبية الغربية . . كل بأسلوب وحسب ظروفه الداخلية . .

فالشريف عبد الحميد شرف ، رئيس حكومة الأردن ، يراها خطوة إيجابية لكنها تفتقر إلى الوسائل العملية . .

والشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ، ولى عهد الكويت ورئيس الحكومة ، ينبه الدول الأوروبية الغربية إلى حتمية قيامها بدور أكثر فاعلية . .

أما تونس – المستفيدة من التجمعين الإسلامى والعربى وعزلة مصر عنهما – فتؤيد بعامة هذه المبادىء . . وتدعو وزارة الخارجية التونسية ، فى أول تعليق لها ، إلى التفاوض الفلسطينى الإسرائيلى ، والاعتراف المتبادل بين الجانبين سبيلا لحل قضية فلسطين . .

وتضيف أن هذه هى المبادىء القديمة التى دعا إليها الرئيس الجليل الحبيب بورقيبة منذ عام ١٩٦٥ وناصبه الفلسطينيون وسائر العرب العداء من أجلها . . وتفسير التناقض بين المبادىء والمواقف التونسية أمر ميسور . .

أما لبنان فإنه مرتاح لمبادرة القمة الأوروبية الغربية . . وذلك لأنها خصت لبنان ببيان ، واستجابت لدعوة الرئيس اللبنانى إلياس سركيس . . كما أنه يعترف بالحقيقة فيعلن وزير الخارجية اللبنانى فؤاد بطرس أن البيان الأوروبى الغربى لن يحل أزمة لبنان ولا الشرق الأوسط ولكنه يساهم فى خلق المناخ المساعد على حلها . .

■ والكلام عن البيان قد يطول . . وقد يقال إنه تأكيد للمبادىء المعلنة فى الأمم المتحدة فى الخريف الماضى ، وإنه أضاف شيئا يعتبر رجعة فى قضية فلسطين إلى خمسين عاما مضت . . فقد قرر إيفاد بعثة إلى الأطراف العربية المعنية لتقصى الحقائق عن الدور الأوروبى الغربى فى قضية الشعب الفلسطينى .

مثل هذه البعثات الأوروبية والأمريكية قد تواترت علينا فى الثلاثينات والأربعينات . . وقاطعنا الاتصال بها حينا والتقينا حينا آخر ، وأضاعت وقتنا ، وقدمت لما نزل بنا من هزائم ونحن متصاعدة فى قضية المصير العربى . .

ومن الطريف حقا أن أوروبا الغربية ، وفى مقدمتها بريطانيا راعية الحركة الصهيونية ومؤسسة الأزمة الفلسطينية والقائمة عليها فى مختلف مراحلها – لا تزال بحاجة إلى معرفة قضية فلسطين ، وإلى تحديد ما ينبغى أن تعمله أوروبا الغربية بشأنها . ! !

□ □ □

ومهما يكن من أمر ، فإن المبادئ الأوروبية الغربية المعلنة تشكل إطارا صالحا للتسوية العادلة للنزاع العربى الإسرائيلى . . وهى فى جوهرها المبادئ التى قامت عليها السياسة المصرية ، وتضمنتها اتفاقات كامب ديفيد . .

وكان فى استطاعة منظمة التحرير استثمارها إذا تناست – فى سبيل الصالح الوطنى – أنها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى وذلك مادام البيان قد اعترف بدور المنظمة فى مفاوضات السلام كما أن النص على حق تقرير المصير يساوى تماما النص على الدولة الفلسطينية الذى تجعله المنظمة المحور الثانى لمعركتها . .

ولقد كان من المفارقات أن تلتقى المنظمة وإسرائيل فى معارضة البيان الأوروبى الغربى . . ولعل مصدر الخطأ الفلسطينى هو الاعتماد على القوى الخارجية فى السعى لحل القضية الوطنية . . وهو حل لا يتوفر إلا بالجهود الذاتية لأصحاب القضية ، مع الاستعانة بجميع المتاح من العوامل الخارجية .

ومن المؤلم أن العمل العربى المشترك قد تجمد فى قضية فلسطين . . وقد التقى فى السعودية أخيرا الأمين العربى التونسى الشاذلى القليبى ، والأمين الإسلامى التونسى أيضا الحبيب الشطى . . وتبادلا الرأى فى وسائل الابقاء على المناصب للتونسيين وغيرهم من المنتفعين بالرفض الإسلامى – العربى . . . . . .

وأعلن الأمين العربى القليبى أن شئون قضية فلسطين عامة والقدس خاصة من شأن المجموعة الإسلامية فهى الأقدر فى هذا المجال . .

ونحن نعرف الدور الإسلامى فى قضية فلسطين منذ نشأتها ، وحتى حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ ، ومن بعد الحريق . .

ونعرف أن الأمر انتهى بأن يتخلى العرب عن دورهم المظهرى التقليدى الذى لا يقدم بل يؤخر ، وهو التسلى بعرض القضية على مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة ، والوقوف من الأحداث موقف المتفرج الذى لا يعنيه من الأمر شىء ذو بال . . وتركوا للمسلمين هذا الدور وكفى الله العرب القتال . .

ومهما يكن من أمر فقد عاد الملك حسين إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد قطيعة طويلة . . وتعلق أمريكا وإسرائيل على الزيارة أهمية وهمية . ويتحدى الفلسطينيون ويعلنون أن الملك الأردنى لا صلة له بقضيتهم ولا حق له فى الحديث عنها . . وجاءت الأنباء أو الإشاعات بأن وساطة الأمير فهد قد نجحت فى تسوية النزاع المغربى الجزائرى ، وهو نزاع استغلته حركة الرفض . .

كما أن زعيم الرافضين معمر القذافى قد لطخ الوجه العربى بأبشع العار وأصبح من المتعين على كل عربى مسئول أن يتصدى له ، والا يترك عبء مقاومته لأمريكا ، وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من دول العالم . . ولكل من العراق وسورية ، وانجن الديموقراطية شئونها وشجونها البعيدة كل البعد عن الشئون والشجون العربية . .

□ □ □

■ فهل تصدق الشائعات وتكذب الحقائق ، ونسلك نحن العرب جميعا سبيل المسئولية والحكمة والرشاد ؟ ! لازلت عظيم الرجاء والثقة وإلى أحاديث البناء الوطنى الذاتى : مصدر القوة كلها ، ومناط الرجاء فى غد مصرى عربى أفضل .